واحد . ثلاثة أوزان (١) مخلع البسيط ومنه البيتان الأولان (٢) ومجزوء الرجز ومنه المصراع الذي يليهما . (٣) ثم مجزوء الرمل ومنه المصرعان الأخيران .

وقد يرى بعض الناس أن من الغلو في الجرأة أن يكون أحد المصراعين في البيت الواحد وائتلافي من بحر آخر . ولكن في الحق أن هذا هو التطور المنطقي لمجمع البحور . فإذا كان مستحسنا أن يغير الانسان الوزن بعد بيتين أو ثلاثة . فليس هناك معنى لأن يمتنع المرء عن تغييره في كل مصراع . بل وفي أقل من مصراع وقد فعل ذلك أحمد الأفاضل في الجزء الثالث من (أبولو) في قصيدة من هذا النوع عنوانها (الشراع) جاء فيها :

وانتزع عنك كساء الليل ثوبا : (رمل)
شجبا (؟)
تحتك اللجة السحيقة تدوى (خفيف)
فوقك اللانهاية الابدية (؟)
وأمامك الأفق البعيد يضلل (كامل)

والقارىء الذي يهمه هذا الضرب من الشعر يجب أن يرجع الى هذه القصيدة لأنها خير مثال له بين أيدينا . ولولا ضيق المقام لتمثلنا بكثير من أبياتها .

وقد جاء في العدد الرابع من الرسالة منظومة للشاعر الفاضل ايليا أبو ماضي عنوانها الشاعر والسلطان الجائر . وقد أتحفنا فيها من خيال بديع . وكان افتتاحها بنوع خاص منبئاً بأن المنظومة من الدرر الغوالي . الا أن هذه الدرر كانت ذات نظام مختلط إذ جعل الشاعر يغير من وزنها ست مرات أو سبعا . فلا تكاد الأذن تطمئن الى نغمة . حتى يستبدل بها نغمة تخالفها وتغايرها . والذين اكتفوا بقراءة القطعة الأولى حكموا بأن القصيدة من أحسن الشعر . وأما الذين قرأوها الى النهاية فقد أسف كثير منهم على أن الشاعر قد أفقد المنظومة حسنها لهذا الاضطراب في النظم : لأن لكل بحر أثرا خاصا في النفس . وهذا التقلب السريع مما يزعج الخاطر . وينفر الأسماع .

لسنا بحاجة لأن نسرد للقارىء أمثلة أخرى ندل بها على هذه الظاهرة الجديدة . التي بدت في كتابات بعض الشعراء . وليس من شك في أن (مجمع البحور) هذا سيكون شأنه شأن الشعر المرسل . سينادى به بعض الكتاب حينا . وقد يستقل أمره زمنا ما . ثم لا يلبث أن تخمد جذوته . ويذهب كما ذهب أخ له من قبل ؟

فلسفة برجسون

للأستاذ زكي نجيب محمود

ثورة على المادية

كان مبدأ الفكر الانساني بدرسه عامة . ثم ينتهي إلى إحدى طريقين : فهو اما أن يقف عند تلك المظاهر المادية التي تخضع للقوانين الآلية الصارمة . ثم ينصرف بناء على ذلك الى دراسة الوجود المادي بما فيه من صور وأوضاع : واما أن يتجه الى انكار ذلك الوجود المادي جملة وتفصيلا . واعتباره من خلق العقل وتكوينه . ثم يتجه على هذا الأساس الى دراسة العقل وحده . لأن في دراسته دراسة للوجود بأسره . مادام ذلك هو الذي خلق هذا خلقا . وأنشأه انشاء .

اذاً فقد انقسم الفلاسفة قسمين مختلفين : فريق ينصرف بأسره إلى العلوم الطبيعية لأنها السبيل الى تفهم مظاهر الكون . وفريق يكب على دراسة النفس انكبابا . لأنها هي كل شيء . ونحن نستطيع أن نقول في شيء من الدقة ان تاريخ الفلسفة الحديثة ينحصر في هذا العراك العنيف القائم بين علم النفس والعلوم الطبيعية . فهذه تشد الحقيقة في دراسة الظواهر المادية . وقد ترى في طريقها من بوارق الأمل الباسم ما تمضي معه في بحثها ثابتة اليقين موطدة العزيمة . وذلك يلتمسها في دراسة النفس دون المادة وهو مؤمن أن ليس أقوم من تلك السبيل سبيل

ولكن جاء القرن التاسع عشر . فانعرج ذلك المجرى الفكري بعض الشيء . واتجه الى دراسة المظاهر المادية اتجاها مباشراً . دون الوقوف على هذه النفس الانسانية وقفة تحليلية . ولعل ذلك راجع الى ان الانسان قد خيل اليه ان العلوم الرياضية والميكانيكية وما اليها . هي التي دفعت به في العصر الحديث هذا الدفع السريع . وله عذره في هذا الظن . مادامت الصناعة التي تنوى ارجاؤها في أوربا . والتي قلبت الحياة رأسا على عقب . هي ربيبة تلك العلوم . . . اذا فلماذا لا تدرس هذه العلوم الطبيعية دون سواها ؟ هكذا اصطبغت الفلسفة في القرن الماضي بصبغة مادية . وذهبت في الفضاء صيحة ديكارت التي اخ بها في أن تبدأ الفلسفة سيرها من النفس ثم تتابع طريقها الى العالم الخارجي .

انطوى القرن التاسع عشر أوكاد . فبدأ الانسان يفيق بعض الشيء من تلك الفتنة التي أخذ بها الانقلاب الصناعي . وأخذ الفكر ينزع عن نفسه شيئا فشيئا ذلك الثوب المادي الذي اشتمله واحتواه حينا من الدهر . ويبحث عن حقيقة الوجود في « الحياة » التي تدب

فى اجساد الكون . لافى حركة القصور الذاتى التى تنتظم الجماد . ومازال الفكر يمعن فى هذه النزعة الجديدة حتى كادت الحياة تذوب فى المادة نفسها . واصطبغت العلوم الطبيعية بصبغة حيوية . وهكذا كتب لها أن تلقى السلاح وتندحر أمام علم النفس فيما شب بيننا من عراك .

ولعل شوبنهور هو أول من فطن الى أن « الحياة » هى أساس الوجود ؛ ثم جاء برجسون فى عصرنا الحاضر وتناول هذه الفكرة بحثا واستقصاء . حتى استطاع بقوة ايمانه أن يجذب اليها انظار هذا العالم الذى طغت عليه روح اللاأدرية والشك طغيانا مروعا .

عكف برجسون على دراسة المذهب المادى ، وخلاصته ان العالم كتلة موات من المادة والحركة . وان الحياة والفكر وكل خصائص الانسان ليست سوى اعراض مختلفة لتفاعل المادة والقوة التى تحرك دقائقها . فكان كلما أمعن فى تلك الدراسة ، ازداد يقينا بفساد ذلك المذهب . وهو يتساءل فى دهشة : اذا كان العقل مادة وكانت كل عملية عقلية عبارة عن هزة عصبية لا أكثر ولا أقل ، فما فائدة الشعور ؟ أليس مجرد وجود الادراك دليلا قويا على ضرورته ؟

يقول المذهب المادى أن ليس ثمة « حياة ارادية » . أى ليس فى الوجود تلك القوة الحيوية التى تريد هذا فتعمله . ولا تريد ذاك فتنفذه ، وكل ما هنالك حالات مادية متتابعة ، كل حالة نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها ؛ وهنا يتساءل برجسون : اذا كان الوجود وما يحوى فى لحظة معينة نتيجة آلية للحظة التى سبقتها ، دون أن تكون هناك قوة مدركة تنشىء وتكون وتختار ، واذا كانت تلك اللحظة السابقة بدورها أثرا آليا للتى سبقتها ، وهكذا دواليك . فنحن اذاً سنسير فى هذا التسلسل حتى نصل الى السديم الأول ، ونتخذ منه سببا لكل ماطرأ على الكون من أحداث ، لافرق بين دقيقها وجليلها ! ماذا ؟ هل يريدنا ذلك المذهب على أن نعتقد بأن السديم هو السبب فيما كتبه شكسبير مثلا ؟ وأنه العلة فى خطابة أنطونى وهملت ؟ !

هكذا أخذ برجسون من منطق الماديين ما يكفى وحده للرد عليهم ودك مذهبهم من أساسه

العقل والجسم

لعل ماحدا بالانسان الى النزعة المادية فى تفكيره هو ارتباطه بالمكان ارتباطا وثيقا ، حتى خيل اليه أن الحياة ليست الا هذه الصور المكانية التى يحسها ؟ ولكن الحق الذى لاريب فيه هو ان جوهر الحياة وروحها انما ينحصران فى الزمان أكثر مما يتعلقان بالمكان . والزمان فى الواقع عبارة عن تراكم صور كونية بعضها فوق بعض ، أو ان شئت فقل صورة كونية واحدة امتدت على طول الزمان وأخذت تنمو وتتزايد شيئا فشيئا . ومعنى ذلك أن الماضى من بدء الأزلى لم يفن ، وانما أخذ يتقدم وتتزايد أحداثه قليلا قليلا الى أن تضخم فكون الزمان الحاضر

واذا كان الزمان عبارة عن مجموع الصور التى مرت على الوجود فيستحيل أن يكون المستقبل مشابها للماضى . لأن فى كل خطوة زيادة تضاف الى تلك الكومة المتراكمة ، وفى كل دقيقة ينشأ شىء جديد ليس نتيجة لمقدمة سابقة ولكنه خلق خلقاً ولا يمكن استنتاجه قبل حدوثه . فالتغير سنة الحياة وألزم صفاتها

والذاكرة عند الانسان هى الوعاء الذى يحتد مع الزمن فيختزن فيه هذه الصور المتراكمة المتزايدة ، لكى تكون لنا عونا فى حياتنا ، اذ كلما اتسعت دائرة الحياة اتسع معها نطاق الاختيار ، أى يعرض للانسان مؤثرات عدة تستدعى منه سرعة اختيار للطلبة المناسبة لكل من تلك المؤثرات . وهذه المؤثرات وتلياتها تكون فى الانسان ادراكا يستعين به فى كل مايعرض له من مشكلات

فالكائن الحى كتلة فعالة مؤثرة . لأنه يضيف الى العالم قوة ونشاطا ، وليس الانسان كما صوره الماديون آلة ميكانيكية لاحول لها ولاقوة ، ينفعل ويتأثر بعوامل البيئة دون أن يكون مركزا للخلق والريادة . ففى قولنا ان الانسان مدرك لما يعمل اعتراف ضمنى بحرية اختياره .

قلنا ان وظيفة الذاكرة هى استدعاء الصور الذهنية التى مرت بنا فى التجارب الماضية مقرونة بما سبقها وما تلاها ، فتتمكن بذلك من الحكم فى المواقف المشابهة التى قد تعرض لنا ، حكما صادقا . ولكن للذاكرة فوق هذا عملا آخر ، فبواسطتها نستطيع أن نستوعب الخلود بأسره فى دقيقة واحدة ، وفى ذلك تحرير لنا من قيود الضرورة الطبيعية التى تخضع لها الأشياء الجامدة . يخطىء اذاً من يحسب الانسان آلة صماء فى يد القوانين المادية . انما هو كائن مدرك . حر الارادة . قادر على اختيار سلوكه معين ؛ والاختيار خلق وانشاء . فليس الانسان رتيبا فى حياته كالحيوان المحدود بغرائزه .

واذاً فليس العقل والمخ (أى الجسم) شيئاً واحدا ؛ صحيح ان الادراك العقلى يعتمد على المخ ، يسير وينحط تبعا لسلامة هذا أو انحطاطه ، ولكن كما تعتمد ملابسك على المشجب . تظل عالية مادام المشجب مثبتا فى الحائط ، وتهوى اذا ماسقط من مكانه . وبديهى أن ذلك لايدل على أن الملابس والمشجب شىء واحد .

فالمخ مجموعة من التصورات وردود الأفعال . أما الادراك

فهو تلك القوة التى تختار من بين تلك المجموعة ماتريد . المخ هو المجرى الذى يسير فيه تيار الادراك ، ولكن ليس الماء وبجراه شيئاً واحداً . وأنى يكن ذلك محدوداً بهذا . ولا بد له ان يخضع لاتواءاته وتعاريجه .

واذا كان هذا هكذا ، فما الذى حدا بنا الى الاعتقاد بأن العقل والمخ شىء واحد ؟ لعل ذلك راجع الى أن جزءاً من عقولنا ، وهو مانسميه بالذكاء ، قد نشأ وتطور لكى يمارس الأجسام المادية ويتفهمها ، فاكتسب من هذا الميدان المادى كل تصوراته وقوانينه . وهكذا أخذ الارتباط الذهنى بين العقل والمادة يسمو شيئاً فشيئاً . حتى انتهى بنا الأمر الى الظن بأنهما شىء واحد ؛ ولكن هذا الذكاء الذى يكشف لنا عن العلاقات التى تصل المظاهر الكونية بعضها ببعض ، عاجز كل العجز عن ادراك الامتداد الزمنى وما يجرى فيه لتلك المظاهر من تغير وخلق . أو بعبارة أخرى هذا الذكاء الذى يفكر فى الصور المادية لا يستطيع أن يدرك ما فى الكون من حياة ، لأنه يلتقط صوراً متلاحقة بعضها يجىء فى أثر بعض ، أى انه يلتقط صورة الكون فى هذه اللحظة ، ثم صورته فى اللحظة التى تليها ، ثم صورة ثالثة فى التى تليها وهكذا . ومعنى ذلك أن العالم الخارجى فى نظر العقل عبارة عن جملة صور لحظية تملأ كل صورة منها الكون بأسره ؛ هذه الصور تلو الواحدة منها الأخرى لحظة بعد لحظة ، وكل صورة لحظية من هذه الصور تمثل الحقيقة الخارجية فى لحظة من اللحظات . ثم من تتابعها يتألف مجموع الحقائق الخارجية من أول الماضى الى آخر المستقبل . الا أن تلك الصور تظل مستقلة فى الذهن ، لا يتناولها الاستمرار أو الحركة التى تربطها جميعاً ، مع ان الحياة ليست الا فى وصل هذه الصور المجزأة . مثل العقل فى ذلك ، كمثل الشريط السينمائى الذى يلتقط عدداً من الصور المتلاحقة ، لاحياة فى كل منها على حدة ، فاذا مادبت فيها الحركة والاستمرار ، واتصل بعضها ببعض ، كونت حياة ، أو شيئاً يشبه الحياة . ولن يكون فى هذه الصور التى تصلنا عن طريق الحواس شىء من الحياة ، حتى يتناولها تيار الحركة الدائم الذى يربط أشتاتها ويكون منها حقيقة واحدة يطرأ عليها التغير والتبدل كلما مر عليها شطر من الزمان

صحيح أن كل صورة حسية هى جزء من الحياة ، ولكن مجموعها لايكون مجموعة الحياة ، الى أن يتحقق فى أجزائها شرط الاتصال والربط ، فكما أن كل جزء من الخط المنحنى يمكن أن يكون جزءاً من خط مستقيم بدليل أنهما يتماسان فى أى نقطة شئت ، ومع ذلك لاتستطيع أن تقول : بما أن أجزاء هذا هى أجزاء ذاك ، اذن فالخط المنحنى هو الخط المستقيم ؛ كذلك قل فى الحياة والمظاهر الطبيعية . فليست الحياة هى مجموعة المظاهر الطبيعية ، على الرغم من أن تلك المظاهر هى الجزئيات التى تتكون منها الحياة .

يستنتج من هذا أن العقل ليس هو الأداة الصالحة لادراك الحياة ، لأن هذا يطالبه فوق مقدوره وأكثر مما يستطيع . اذ العقل كما بينا يميل الى استعمال الوجود لصالحه . وهذا الاستعمال يتطلب منه وقف تيار الحياة الذى يدفق الكون ، وتجزئة الوجود للتمكن من بعضه . فالعقل والحواس آلات للتجزئة ، والغاية منهما تيسير الحياة لا تصوير الوجود ، أى انها تتناول الوجود فى ظاهره ولكنها لا تنفذ الى باطنه . . . ولما كانت المعرفة الحقيقية هى التى تتمشى مع الوجود فى تحوله ، وتتغلغل فى باطن الأشياء . وتحسها احساساً مباشراً كما يحس الحمل الوديع وجوب الفرار من غائلة الذئاب ؛ فالبصيرة وحدها هى الأداة الصالحة لذلك النوع من المعرفة المباشرة ، لأنها حاسة الحياة التى تنفذ تلك الوحدة الحيوية التى تربط أجزاء الوجود .

التطور خلق وانشاء

لا يمكن أن يكون تطور الحياة على تلك الصورة البشعة القاسية التى رسمها داروين وسبنسر ، انما التطور خلق مستمر ، وتجديد متواصل ، وتغير لاينقطع .

الانتخاب الطبيعى عند داروين هو الأساس الذى تقوم عليه نشأة الأعضاء والوظائف والأنواع . ولكن لم يكد يستوى ذلك المذهب على قدميه ، حتى أحاط به من الصعاب والمشكلات ما لم يقو على رده ، فكاد يخر صريعاً وهو مايزال فى يفاعته .

كيف يستطيع الانتخاب الطبيعى أن يفسر نشأة حاسة الابصار مثلاً ؟ أولا ، لابد أن نسلم بأنه من المستحيل أن تكون العين قد نشأت على هذه الصورة المعقدة من بادىء الأمر ، فاذا فرضنا أنها تكونت بعد سلسلة من الأطوار ، فهل من اليسير أن نقنع عقلا سليما أن تلك الأدوار التى مرت بها عين الانسان تطابق تمام المطابقة الأدوار التى مرت بها الحواس الابصارية لانواع الحيوان جميعا ؟ ! مع أن الانتخاب الطبيعى أساسه المصادفة المحضة ! وهل من الجائز أن تكون سلسلة المصادفات التى تعاقبت على عين الانسان وأذنه وأنفه وسائر أعضائه الأخرى هى هى التى تعاقبت على أعضاء الحيوانات جميعاً ؟ !

واذا سلمنا — جدلا فقط — بأن تلك المصادفة السحرية

الغريبة جائزة فى أنواع الحيوان لتشابه المؤثرات التى تحيط بها جميعا. فما قولك فى الحيوان والنبات . وهما نوعان يسيران فى طريقين مختلفين أتم اختلاف ؟ كيف يتفق الاثنان على طريقة واحدة للتناسل ؟ كيف يوفق الحيوان . عن طريق المصادفة . الى اختراع الذكورة والأنوثة اداة للتكاثر . ثم يوفق النبات من هذا التوفيق وعن طريق المصادفة أيضاً ؟!!

كلا ! يستحيل أن يكون هذا الأساس الواهى قاعدة التطور ولابد أن يكون فى أجزاء الوجود — مهما تنوعت أشكالها — قوة كامنة متشابهة فى الجميع : هى الحياة . وهذه الحياة الحالة فى كل شىء تخلق فيه ميلا خاصاً وتوجيهاً معينا يؤثران فى كل جزئى من جزئياته . وهكذا يظل الجسم المادى يتشكل ويتغير حسب ذلك التوجيه الذى تمليه تلك الحياة الدافعة الكامنة فيه . وليس ثمة قوة خارجية تعمل على التطور كما خيل الى داروين وأشياع مذهبه .

هذه الحياة الشاملة تسعى جهدها للتغلب على الجمود المادى وطمس معالمه من الوجود . فهى تتغلب على الموت بالتناسل ، وان ضحت فى سبيل ذلك الأفراد : وهى تبذل كل ما تملك من قوة لتحرر نفسها من قوانين المادة وأغلالها : فوقوف الحيوان وسيره وسعيه وكل ما يأتى من ضروب الحركة والنشاط . هو فى الواقع تحد من الحياة لتلك الأغلال والقيود .

كانت الحياة فى مبدأ ظهورها أشبه ما تكون بالمادة فى جمودها واستقرارها ، لأنها كانت تتمثل فى النبات وحده . والنبات كالجماد فى سكونه واستحالة سعيه وحركته : ولكنها ما لبثت أن اشتدت الحرية من تلك القيود المادية : وراحت تسعى وراء ذلك المثل الأعلى . فاخترعت أنواع الحيوان ، وزودتها بشتى الأعضاء التى يستطيع أن يحقق بها شيئا من تلك الحرية المنشودة . ثم ما لبثت أن عقدت آمالها فى واحد من تلك الحيوانات جميعا : هو الانسان. فلا شك فى أن الحياة تحاول ما استطاعت أن تسخر من قيود المادة . ونحن نضحك ونسخر اذا ما رأينا كائنا حيا يتصرف كما تتصرف الكتلة المادية الجامدة . كأن تزل قدمه فيسقط بقوة الجاذبية كما تسقط قطعة الحجر .

يتضح من ذلك أن الحياة قد سارت فى تطورها خلال مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة النبات اذ كانت أقرب ما تكون الى سكون المادة وجمودها .

الثانية : مرحلة الحيوان الفقرى كالنحل والنمل الذى يتحرك ويسعى . ولكن فى حدود مرسومة وخطة معلومة . .

الثالثة : مرحلة الحيوان الفقرى . الذى أخذ يسير فى طريق التفكير . ولن يزال هذا التفكير ينمو ويشتد ويستقيم . فهو ذخر الحياة وأملها الذى سيحقق لها ما تنشد من حرية .

هذه الحياة التى لا تفتأ تخلق وتبتكر وتبتدع ، والتى تلتمس الحرية من قيود المادة . على انه حتى والحياة اسمان على مسمى واحد . ولكنه ليس سلطان مجرد يسيرد المادة . وليس مطلق الارادة كما تصوره الأدباء . الا انه دائب فى التخلص من أغلاله وأصفاده وأغلب الظن أن الحياة ستظفر آخر الأمر . ونكاد نوقن أنها ستتغلب على الموت . فتحقق لها الحرية والخلود . فكل شىء جائز فى نظر الحياة مادام فى الزمن امتداد

وبعد . فما أجمل أن يرتفع صوت يرجعون بشيرا عما فى الكون من حياة فعالة خالقة ، ليقف تيار المادية الذى طغى على اوروبا فى القرن الماضى ، حتى غمرها بين ثناياه . وكم كنا نود أن نشترك معه فى نيل ذلك العرش الذى كان يتربع عليه اله العقل . ولكن على شريطة ألا يدعونا الى تقديس اله آخر : هو البصيرة : لأنها قد تخطىء كما تخطىء الحواس .

موجز التاريخ الطبيعى

فى علم الحيوان

للسنة الرابعة الثانوية

تأليف محمد كمال محمد

المدرس بمدرسة شبرا الثانوية

نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر .

يقع فى ١٢٦ صفحة . وهو موضح بالرسوم وبه ثلاث لوحات ملونة ، سهل الأسلوب دقيق العبارة ، وقد عنى المؤلف عناية خاصة بصفات الرتب ، وذيله بمجموعة شيقة من الاسئلة

وهو يباع فى مقر اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ تليفون ٤٢٩٩٢ ومن المكاتب الشهيرة وثمنه عشرة قروش عدا اجرة البريد